

الدرس التداولي بين التأصيل النظري والتمثيل الإجرائي والتدقيق الترجمي

مقاربة في جهود الدكتور "مسعود صحراوي" نموذجاً

*The deliberative lesson between theoretical grounding, procedural representation, and translational scrutiny**An example of an approach to the efforts of Dr. Mesoud Sahraoui*

سلطاني محمد*

جامعة عمار ثلجي/الأغواط
(الجزائر)

المعلومات المقال	الملخص:
تاريخ الإرسال: 2023/11/13 تاريخ القبول: 2024/07/16	يحاول هذا البحث تسليط الضوء على أحد المقاربات اللسانية وآخرها ظهورها وهي المقاربة التداولية وظروف تلقيها في السياق العربي ممثلة في جهود الدكتور مسعود صحراوي سواء على المستوى التنظيري في الفكر الغربي أو على المستوى التأصيلي في التراث العربي أو على مستوى التدقيق الترجمي.
الكلمات المفتاحية: ✓ مسعود صحراوي: ✓ التداولية- التأصيل: ✓ التمثيل - الترجمة:	ويهدف البحث إلى بيان أهم المعالم الكبرى في فكر مسعود صحراوي الساعية إلى تبسيط المعرفة التداولية وفهمها واستيعابها من جهة، واستثمارها في التراث العربي بمختلف فروعه المعرفية ومدى الكشف عن المبادئ والمضامين التداولية التي وظفها العلماء في تحليلاتهم البلاغية والنحوية والأصولية.
Article info	Abstract : (not more than 10 Lines)
Received Accepted	<i>This research attempts to shed light on one of the linguistic approaches, the most recent of which has appeared, which is the pragmatic approach and the circumstances of its reception in the Arab context, represented by the efforts of Dr. Masoud Sahraoui, whether at the theoretical level in Western thought, at the authentic level in the Arab heritage, or at the</i>

level of translational scrutiny.

The research aims to explain the most important major features in Masoud Sahraoui's thought, which seeks to simplify, understand, and assimilate pragmatic knowledge on the one hand, and invest it in the Arab heritage in its various branches of knowledge, and the extent of revealing the pragmatic principles and contents that scholars have employed in their rhetorical, grammatical, and fundamentalist analyses.

Keywords:

- ✓ Mesoud Sahrawi:
- ✓ pragmatics - rooting:
- ✓ representation - translation:

1. مقدمة:

يجب منذ أن بزغ فجر اللسانيات الغربية شهدت ساحة البحث اللساني العربي - إن في جانبه المغربي أو المشرقي - سعيًا حثيثًا في تلقي منجزات البحث اللسانيات الغربي بمختلف مناهجه ونظرياته؛ وقد بلغ هذا التلقي - في جانبه المغربي خاصة - درجة من الوعي بمفاهيم هذا العلم بؤاته مكانة مرموقة من حيث الواجهة العلمية في تمثل مفاهيمه ونظرياته ومناهجه سواء في جانبه الترجمي أو الإبداعي (التألفي) وتطبيقها على التراث اللغوي العربي، وكذا الإفادة منها في اكتشاف المنطق الداخلي لهذا التراث من جهة. كما أنها تفيد منه اللسانيات الغربية في غناه المعرفي من جهة أخرى.

ولا يكاد باحث من الباحثين العرب على غرار غيرهم في العصر الحديث لم يتأثر بهذا المنهج التداولي، فتسابقت الأقلام راقمة القراطيس مضيفة محطات هذا التيار اللساني المستجد في بيئته الغربية المؤسسة سواء من ناحية الترجمة أو التنظير، أو على مستوى التأصيل من خلال التراث اللغوي العربي أو التطبيق والتمثيل على نصوص اللغة العربية.

وتعدّ جهود الدكتور مسعود صحراوي من بين الجهود الجادة والرصينة على المستوى العربي في تلقي وتقريب واستيعاب الدرس التداولي، كما تعدّ أطروحته للدكتوراه حول "الأفعال الكلامية" التي طبعت بعد ذلك باسم "التداولية عند العلماء العرب"، بالإضافة إلى ما نشره من مقالات مختلفة من أهم الدراسات الجامعة بين الجدّة والجديّة في مطلع الألفية الثالثة على المستوى التنظيري والتأصيلي والتمثيل الإجرائي على اللغة العربية في فهم وتقريب نظرية الأفعال الكلامية خاصة، والمفاهيم التداولية عامة.

هذا، وتعد دراسته السابقة الذكر من بواكير المنجزات اللسانية التداولية العربية عامة والمغربية خاصة التي قرأت التراث في ضوء المنهج التداولي؛ كما أنها كشفت القيمة التداولية للتراث اللغوي العربي من خلال الاهتمام بالبعد الاستعمالي في فهم مقاصد الحدث اللغوي.

في ضوء ذلك نحاول أن نسلط الضوء على بعض معالم مشروع الدكتور مسعود صحراوي حول النظرية التداولية، كاشفين عن أبعادها المنهجية، مبينين عناصر جدتها وجديتها على المستوى النظري من خلال تقريب المفاهيم التداولية من جهة، والمنهجي والتأصيلي من خلال كشف أوجه التقارب بين الفكر التداولي المعاصر وملامح التداولية في الفكر اللغوي العربي من جهة ثانية، وعلى المستوى الترجمي من خلال التدقيق في المصطلحات التداولية، وما تعانيه من اضطراب وارتباك ترجمي في الساحة العربية من ناحية التعدد والدقة معاً من جهة ثالثة.

2. الدرس التداولي في الغرب ودواعي النشأة

1.2 الدواعي والنشأة: بعد بزوغ فجر الدراسات اللسانية الغربية، وما أتاحتها من إبداع ثوري سواء على الجانب النظري أو المنهجي أو الإجرائي؛ وهو إبداع مسّ الظاهرة اللغوية كلها، منذ أن أرسى دوسوسير معالمها الكبرى وأعاد إليها حيويتها المنهجية والمعرفية الدقيقة، وما تلى ذلك من تطور وإبداع... أعاد لها طموحها وكفايتها التفسيرية في القرن العشرين الذي هو قرن التداخل الفكري المفاهيمي بين علوم الإنسان وعلوم اللسان، وما أفرزه من أجهزة مفاهيمية

وإجرائية، واصفة ومحللة، كان لها أبلغ الأثر في فهم وإدراك أبعاد الظاهرة اللغوية.

وعلى الرغم من التطور الكبير الذي بلغته اللسانيات في نسختها البنيوية، ولاسيما الأدوات المعرفية والمنهجية التي أمدت بها الدرس اللساني كمفهوم البنية والنسق النظام والثنائيات التقابلية ... أو نسختها التحويلية التوليدية في مفاهيمها التأسيسية كالبنية السطحية والعميقة والكفاية والأداء وفيما مرت به من مراحل وأطوار تطورية أو تصحيحية مختلفة... إلا أن هذا التطور اللساني سواء في جانبه البنيوي أو في جانبه التوليدي التحويلي وقف دون الطموح التفسيري للظاهرة اللغوية عندما قصر دراسته في الجانب البنيوي على الكينونة اللغوية ذاتها ولأجل ذاتها من جهة، وفي الجانب التوليدي على البعد العقلي التجريدي بعيدا عن معمعان الاستعمال الطبيعي للخطاب الذي تمارس فيه اللغة من جهة ثانية، وبعيدا عما تحتزنه اللغة من معان حجاجية تأثيرية صريحة ومضمرة وإحجاءات ضمنية من جهة ثالثة؛ وهو الأمر الذي تكفل به المنهج التداولي في دراسة اللغة، وهو تيار انبثق عن منهج خاص يدرس الظاهرة اللغوية في سياق استعمالها الطبيعي الواقعي، ولا يحصر دراسته على المعنى المباشر الصريح للظاهرة اللغوية، بل يدرسها في أبعادها الاستعمالية السياقية المختلفة محاولا سبر أغوارها وما توحى به من معان وضمنية كثيفة.. لا تتوفر دائما في البنية اللغوية السطحية، ويدمج عدة علوم ومعارف في دراسة وفهم الظاهرة اللغوية جاعلا من علوم الإنسان وعلوم اللسان وحدة متكاملة لفهم الظاهرة اللغوية وتحليلها وإدراك علاقاتها الكاشفة عن بعدها الفعلي الإنجازي. بوصفها ثمرة التفاعل بين بنية المقال ومقتضيات المقام، وأهم مخرجات التواصل الخطابي والتأثير الإقناعي، كما يدرس الظاهرة اللغوية في جانبها التصريحي المباشر وفي جانبها المضمر غير المباشر؛ وهو أحد أهم ما حققته التداولية من آفاق معرفية ومن كفاية تفسيرية ومن إدراك عميق للظاهرة اللغوية وفلسفتها.

وهذا الانعطاف المنهجي والإبداع الثوري في المستوى المعرفي والمنهجي على السواء في تناول الظاهرة اللغوية قد وازاه

تطور وانعطاف معرفي ومنهجي آخر في تناول الظاهرة البلاغية كذلك؛ فبعدما تركزت جهود البلاغيين في تناول الخطاب الأدبي فيما سمي بالشعرية المنبتقة عما أثمرته جهود الشكلايين الروس وغيرها من المدارس، وما تبع ذلك من جهود مكثفة في دراسة الخطاب الأدبي فيما سمي بالأسلوبية حتى هيمنت على كل أقاليم الأبحاث البلاغية تقريبا حتى كادت البلاغة تتوارى بالحجاب، وصار مفهوم البلاغة المرادف للتأثير والإقناع يحيل إلى كل ما هو قديم ومتجاوز....، في هذا السياق وفي هذا القرن العشرين الذي عُدد بحق قرن الأسلوبية في تناول الظاهرة الأدبية انبرى بعض اللغويين وبعض الفلاسفة في إعادة قراءة البلاغة القديمة قراءة جديدة وفق الأطر المنهجية المعاصرة؛ من أجل إعادة الاعتبار للظاهرة البلاغية بعدما وصلت الأسلوبية إلى طريق مسدود؛ من خلال الإمعان في البعد الجمالي التخيلي الشكلي في دراسة الخطاب الأدبي بعيدا عن أبعاده التداولية والتأثيرية والإقناعية، وكان في الصدارة من هؤلاء الفلاسفة الفيلسوف البلجيكي شايم بيرلمان الذي أعاد للظاهرة البلاغية حيوتها ومنهجيتها وبعدها الإقناعي بعدما اهتمت عليها رمال النسيان والإهمال وسوء الفهم.

2.2 سيرة ذاتية موجزة للأستاذ مسعود صحراوي

-الاسم واللقب والدراسة: مسعود بن محمد صحراوي (من مواليد 23-08-1956 بـ"الحامة"، ولاية سطيف، بالجزائر) من أسرة متدينة معروفة بالقرآن الكريم والعلم والصلاح في المنطقة والمشاركة في الجهاد والمقاومة منذ وصول الاستعمار الفرنسي إلى المنطقة (كان جدّ أبيه شهيدا من شهداء ثورة المقراني سنة 1881)، تلقى القرآن الكريم وتعليمه الأول في قريته، ثم تابع تعليمه في ولاية باتنة في مرحلتين التعليم الثانوي والجامعي وكان الأول على دفعته في مرحلة الليسانس (الإجازة). اشتغل أستاذا في التعليم المتوسط والثانوي، ثم التحق في بداية السنوات التسعين بجامعة الرباط آقدال (بالمملكة المغربية) قصد متابعة دراسته العليا ولم يكملها بسبب الظروف السياسية التي تسببت في انقطاع التعاون الجزائري-المغربي آنذاك وإغلاق الحدود، فعاد إلى الجزائر ليتابع دراسته

1.3 الدرس التداولي عند صحراوي: نحاول فيما بيان الأطر

العامة لجهود الدكتور مسعود صحراوي في دراسته حول اللسانيات التداولية سواء على المستوى النظري عند الغرب من جهة أولى، أو على مستوى التأصيل في التراث اللغوي العربي عامة تأصيلاً للمبادئ والمفاهيم أو تطبيقاً للأدوات والمفاهيم التداولية على مضامين التراث العربي في مختلف ميادين المعرفة عند كل مناحاة والأصوليين والبلاغيين من جهة ثانية، أو على المستوى التدقيق الترجمي من الفرنسية والانجليزية إلى العربية ومدى دقة وملاءمة هذه الترجمة وما أصابها من تعثرات واختلاف في الرؤى من جهة ثالثة.

- على مستوى التنظير:

نجلي فيما يلي بعضاً من معالم الدرس التداولي عند الدكتور مسعود صحراوي على مستوى التأصيل الغربي لهذا التيار اللساني، وهو ما أطلق عليه "الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر" (صحراوي، 2005)، وتناول فيه مفهوم التداولية، ثم تطرق إلى مصادر استمداد الدرس التداولي، وأبرز المفاهيم المنضوية تحت التداولية، مبيناً المقصود بالفعل الكلامي وأقسامه وأهم خصائصه، ومعرجاً من خلال ذلك على المفاهيم الخاطئة حول التداولية.

- في دواعي وأسباب نشأة التداولية

يقرر مسعود صحراوي أن هناك تمفصلين تاريخيين في مسار المعرفة عامة واللسانيات خاصة، يتمثل الأول منهما في المنطق الصوري عامة، والتيار البنيوي خاصة بمختلف أطيافه ومدارسه، وقد وصل نتيجة قصوره وإيغاله في التجريد والصورة إلى طريق مسدود، الأمر الذي سبب تمفصلاً ثانياً "أدرك قصور هذا التمهيد الأول وعجزه عن أن يكون أداة مفيدة وصف وتفسير الظاهرة اللغوية كما تتجلى فعلاً في العلوم الإنسانية والاجتماعية بشكل عام، وفي التفاعل الحجاجي بشكل خاص"¹ مؤكداً في الوقت نفسه وموضحاً أن المنطق الصوري لم يستوف الكفاية الضرورية لدراسة الاستدلال والتفاعل الحجاجيين الذين لا يمكن تصورهما من دون ذوات ومن دون لغة تتواصل بها هذه الذوات (صحراوي، 2005).

العليا بجامعة قسنطينة ثم جامعة باتنة. قام برحلات علمية إلى كل من: جامعة باريس الثالثة/فرنسا (السوربون الجديدة)، جامعة دمشق، المجمع العلمي بدمشق، جامعة القاهرة... الخ -الشهادات الجامعية

*متحصل على شهادة الماجستير في اللسانيات، من جامعة باتنة، بإشراف أ.د. السعيد هادف

*ثم على الدكتوراه في التداولية/من نفس الجامعة، بإشراف أ. د. عبد الله العشي/السنة الجامعية 2003-2004.

- يشغل حالياً أستاذاً لعلم اللغة بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة عمار ثليجي بالأغواط .

الدرجة العلمية: أستاذ (بروفيسور) منذ 2012 /التخصص العام: علم اللغة، التخصص الدقيق: الدراسات التداولية.

- شارك في عشرات المؤتمرات والندوات والملتقيات العلمية الوطنية والدولية في الجزائر وخارجها.

- أهم الأبحاث المنشورة (بين كتب ومقالات أكاديمية متخصصة):

-التداولية عند العلماء العرب

-لحظة ميلاد التداولية

-التحول من المنهج الشكلي إلى المنهج الوظيفي في اللسانيات الغربية

-المنحى الوظيفي في التراث اللغوي العربي

-الأفعال الكلامية عند الأصوليين

-دلالات الألفاظ في القرآن من منظور سياقي

-علاقة البنية بالوظيفة في دلائل الإعجاز

-نقد المقترح العربي في ترجمة المصطلح التداولي-

- السياق النصي ودوره في فهم الألفاظ والتراكيب القرآنية

- جدل السياق الجزئي والسياق الكلي في القرآن الكريم/قراءة لبعض السياقات القرآنية وفقاً لمقتضى قانون التأويل العربي.

-بالإضافة إلى مجموعة من المقالات المنشورة في بعض المواقع الفكرية والإعلامية على الأنترنت.

3. الدرس التداولي في منوال صحراوي

البرهاني الصوري لا يمثل الحقيقة المطلقة كما يتأتى إلا في سياقات خاصة لا تغطي كل مشاغل التفكير الإنساني.

- في مصادر استمداد الدرس التداولي

لا يستمد الدرس التداولي أصوله حسب مسعود صحراوي من منبع معرفي واحد بل تعددت منابعه المعرفية فهو وليد تكامل وتفاعل وتظافر علوم فلسفية ونفسية واتصالية (صحراوي، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، 2005).

غير أن الباحث لما كان مركزاً على نظرية الأفعال الكلامية خاصة دون المباحث المنضوية تحت لواء التداولية عامة اقتصر

اهتمامه على المنبع الذي انبثقت عنه هذه النظرية دون غيرها ويقرر صحراوي أن "الفلسفة التحليلية هي الينبوع المعرفي لأول مفهوم تداولي وهو الأفعال الكلامية"² على أن الفلسفة التحليلية تفرعت إلى ثلاث تيارات أولها الظاهريّة اللغوية عند هوسرل، وثالثها الوضعانية المنطقية بزعامة رودولف كارناب وهذان التياران يقعان خارج اهتمام البحث التداولي لكونهم بسبب انشغال الأول منهما باللغات المصطنعة واتخاذها بديلاً عن اللغات الطبيعية" (صحراوي، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، 2005) وانشغال الثاني بأطر فكرية أعم من الكينونة اللغوية³ فهي في التجريد ولا علاقة لها بالاستعمال اللغوي ولا بظروف استعمال اللغة.... ولا بأغراض المتكلمين" (صحراوي، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، 2005) أما الفرع الثالث فهو المتمثل في فلسفة اللغة العادية عند فجنشتاين وهي تقع في الصميم من البحث التداولي لأنها جعلت اللغة مصدر اهتمامها من جهة، ولكونها جعلت جميع مشكلات الفلسفة تحل باللغة من جهة أخرى، وهي خارج عن الاهتمام التداولي لكونها انشغلت بمعارف تجريدية خالصة

- من ضيق اللسانيات البنوية إلى سعة اللسانيات التداولية يؤكد صحراوي في غير ما مناسبة أن "النزعة التداولية ونظرياتها الإنجازية والتخاطبية والحجاجية في الدراسات اللغوية ولدت سدا لثغرة أحدثها قصور المقاربة الصورية الصارمة عند بعض

وفي خضم هذين التمهليلين انقسمت ساحة الدرس اللساني إلى اتجاهين في تناول الظاهرة اللغوية عامة أتجاه صوري شكلي واتجاه وظيفي تواصل، وفي هذا المناخ ظهرت التداولية نتيجة اختراق الدرس اللساني بعلوم خارج الكينونة اللغوية كمعارف من الفلسفة وعلم النفس وعلوم الاتصال وبقدر ما استعانت التداولية بهذه المعارف في تطوير النظر إلى الظاهرة اللغوية بقدر ما ساهم ذلك في إذكاء جذوة الصراع بين الاتجاهين السابقين، فساهمت في ترجيح كفة الاتجاه الثاني على الأول بما بثته من مفاهيم ورؤى اشتد بها عضد التيار الوظيفي" (صحراوي، 2005).

وتستمد التداولية هذه الرؤى والمفاهيم من الروابط العلمية التي أقامته بين العلوم من أجل فهم وإدراك أبعاد الظاهرة اللغوية. وما أتاحته من من إبداع ثوري في فهم وتحليل الظاهرة اللغوية، وما حققته من كفاية نظرية ومنهجية وأخرى تفسيرية تطبيقية من خلال قيامها على دراسة الخطاب في سياق استعماله الطبيعي الواقعي، مدججة عدة علوم ومعارف في دراسة الظاهرة اللغوية وتحليلها وإدراك علاقاتها الكاشفة عن بعدها التأثيري الإنجازي.. بوصفها تفاعلاً متواصلًا بين بنية اللغة ومقتضيات استعمالها الخارجية.

ويجدر الذكر هنا أن دواعي نشأة التداولية وأسباب بروز المنهج الوظيفي ثم التداولي وما بينهما من علاقة.... مما يميز مساهمة الأستاذ صحراوي في السياق العربي كله ممن اهتموا باللسانيات التداولية، ذلك أنه لا يفتأ يؤصل لدواعي نشأة الدرس التداولي والأسباب والخلفيات الكامنة وراء التمهليل التاريخي بين المنطق الصوري والمنطق الطبيعي عامة من جهة، وبين الاتجاه اللساني الشكلي في تحليلاته البنوية والتوليدية التحويلية... وبين الاتجاه السياقي في تحليلاته الوظيفية والتداولية والحجاجية. فأصبح ينظر إلى اللغة بعد بزوغ فجر المقاربة التداولية إلى الخطاب الطبيعي نظرة تختلف عن المقاربات اللغوية قبلها في كونه خطاباً تفاعلياً تأثيرياً إقناعياً... كما أنها تنظر إلى اللغة أنها مادة للتفاعل بين المقال والمقام، وأن الاستدلال

تلك الظواهر والمستويات ترصدها وتحللها أنساق فكرية معقدة أو متداخلة⁴.

- على مستوى التأصيل في الفكر اللغوي العربي

لقد كان من أكثر اهتمامات الأستاذ صحراوي أن يستثمر المفاهيم التداولية في التراث اللغوي العربي بمختلف علومه ومعارفه ومجالاته وهذا ما يتجلى من عنوان الكتاب "التداولية عند العلماء العرب"، وتركز هذا التأصيل عنده في بعدين أساسيين بعد نظري منهجي تأصيلي وبعداً تطبيقي إجرائي، فأما البعد النظري فيتمثل في الأسس الابدستيمولوجية لتقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء عند علماء العربية (صحراوي، المنحى الوظيفي في التراث اللغوي العربي، 2003) سواء من جهة المعايير (صحراوي، المنحى الوظيفي في التراث اللغوي العربي، 2003) التي اتخذوها لتمييز الخبر عن الإنشاء أو في التقسيمات نفسها بينهما (صحراوي، المنحى الوظيفي في التراث اللغوي العربي، 2003). وأهم ما يقرره صحراوي بخصوص هذا التأصيل النظري أن ظاهرة أفعال الكلام في التراث اللغوي العربي بُحِثَ في ميدان علم المعاني فهي حسبه "تندرج تحديدا ضمن الظاهرة الأسلوبية المعنونة بالخبر والإنشاء وما يتعلق بها من قضايا وفروع وتطبيقات" (صحراوي، المنحى الوظيفي في التراث اللغوي العربي، 2003). ويشير في ذات السياق أن ظاهرة الخبر والإنشاء تعتبر معادلا مفهوما لظاهرة الأفعال الكلامية بتعبير المعاصرين، وأن ما بينهما من عموم وخصوص لا يمس المضمون بحد ذاته إنما يتعلق - فقط - بالفروق الابدستيمولوجية والمنهجية بين النظريتين، مشيرا في ذات الصدد إلى المسار النظري لهذه الظاهرة عند علماء العربية ولا سيما ظاهرة الإنشاء التي لم تستقر على اصطلاح واحد ولم يولد محدد المعالم واضح القسّمات، وعرفت تطورا من استخدام مصطلح الطلب ثم الإنشاء عند قلة من علماء المنطق والأصول حتى استوت على الاصطلاح النهائي حيث كانت حقلا مشتركا بين عدة تخصصات معرفية عند الفلاسفة والبلاغيين والنحاة والأصوليين (صحراوي، المنحى الوظيفي في التراث اللغوي العربي، 2003).

البنويين وبعض التوليديين عن الإحاطة بأبعاد الظاهرة اللغوية وجهاتها المتعددة " (صحراوي، 2005). كما يقرر في سياق آخر أن يؤكد أن التداولية تتميز عن البنيوية والتوليدية التحويلية هو " مفهومها الموسع للغة عموما ولعلم الدلالة خصوصا فهي لا تفصل الإنتاج اللغوي عن شرطه الخارجية ولا تدرس اللغة الميتة المعزولة بوصفها نظاما من القواعد المجردة كما تفعل البنيوية حينما تعد الكلام والفرد المتكلم والسياق غير اللغوي عناصر خارجة عن اللغة، ومن ثم تقوم بإقصائها من مجال الدراسة" (صحراوي، المنحى الوظيفي في التراث اللغوي العربي، 2003).

فالتداولية تجاوزت الفصل المفتعل بين جزئي الكينونة اللغوية الواحدة المتمثلة في اللسان/ الكلام، وما يترشح عنه من الاختصار على دراسة اللغة في ذاتها ولأجل ذاتها كما تفعل اللسانيات البنيوية، وتجاوزت البعد العقلي التجريدي المغرق في الصورة والتجريد العقلي كما في النظرية التوليدية التحويلية وفي أطوارها ونسخها المتتالية ويجمع البنيوية والتوليدية التحويلية وفرعها يجمعهما البعد عن دراسة عن الكلام كما يجري في معمعان الاستعمال اليومي، وهو القصور الذي تولت التداولية سده وتعميق البحث فيه كما جاءت التداولية في سياق النفتاح على الدراسات البينية ولم تعد اللسانيات علما مغلقا داخل حدوده التي رسمها سوسير منذ قرن من الزمان، فانبعث الطرح البيني من جديد بعد خفوت صوته أيام البنيوية والطروحات التوليدية الأولى، وانفتحت الدراسات على أنساق معرفية أخرى (كالرياضيات والبيولوجيا وعلم النفس بفروعه المختلفة).

والمقاربة "التداولية" مما ينطبق عليه هذا التوصيف العام- المتمثل في التداخل المعرفي الذي يعبر عنه بـ "الدراسات البينية / Interdisciplinaires، فهي ذات علاقات علمية وثيقة بحقول معرفية كثيرة تضم مستويات متداخلة كثيرة: كالبنية اللغوية، وقوانين الخطاب، وقواعد التخاطب، والاستدلالات والعمليات الذهنية المتحكم والمسؤولة عن إنتاج اللغة وفهمها، وعلاقة البنية اللغوية بظروف الاستعمال وملابساته... الخ، وكل

عنها" (صحراوي، المنحى الوظيفي في التراث اللغوي العربي، 2003).

كما يؤكد أن حسن صنيعهم ذاك وإبداعاتهم لم تقتصر على حسن استثمار المقولات التداولية في فهم النص واستيعاب أغراضه، وإنما امتد أفقهم المعرفي إلى اكتشاف أو وضع أفعالا كلامية فرعية جديدة منبثقة عن الأفعال الكلامية الأصلية (صحراوي، المنحى الوظيفي في التراث اللغوي العربي، 2003)، لم يتعرض لها حتى المعاصرون؛ إذ لم تعرفها الثقافة الغربية المعاصرة، وهوما جعل أفق الأصوليين يتجاوز من هذه الجهة النحاة معهم في هذه الظاهرة، وكذلك يتجاوز البلاغيين في ميدان علم المعاني (صحراوي، المنحى الوظيفي في التراث اللغوي العربي، 2003).

هذا، وأهم الظواهر المنبثقة عن الخبر التي تناولها الأصوليون هي الرواية والشهادة، والدعوى والإقرار، والوعد والوعيد والكذب والخلف والنفي.

وأما التي استنبطها الأصوليون الظواهر المنبثقة عن الإنشاء كالأمر والنهي هي الإذن والمنع والندب والإباحة والتخيير وألفاظ العقود والمعاهدات والإيقاعات... كما اهتموا بالأساليب البلاغية كالاستفهام وما يتضمنه من أفعال كلامية هامة كال تقرير والإنكار الإبطالي والإنكار الحقيقي (صحراوي، المنحى الوظيفي في التراث اللغوي العربي، 2003). وأطروا ذلك كله بمفاهيم ومبادئ تداولية هامة لم يكتشفها التداوليون إلا حديثا كمبدأ "الغرض" من كلام المتكلم ومبدأ "القصد" مقررين ذلك في عبارة جامعة هي "العبرة بالمقاصد والمعاني لا بالألفاظ والمباني" (صحراوي، المنحى الوظيفي في التراث اللغوي العربي، 2003).

— عند النحاة

على غرار الأصوليين تناول النحاة في ميدانهم مباحث تقع في الصميم من البحث التداولي المعاصر ولا سيما ما يسمى علم المعاني الذي يطلق عليه "النحو العالي" وخاصة المباحث المتعلقة بالإسناد وتصنيف الجمل، فلم يكونوا يعيدون المعاني في دراستهم بل إن منهم من كان على صلة وثيقة بالمعاني وبأغراض

ولعل أبرز ما يخلص إليه صحراوي بخصوص هذا البعد التأصيلي الأبستمولوجيا عند علماء العربية على اختلاف تخصصاتهم المعرفية هو أنهم تناولوها بنوعين من المعايير أحدهما معايير منطقية والثانية معايير تداولية فأما الأولى فتتمثل في معياري "قبول الصدق والكذب" ومعياري "مطابقة النسبة الخارجية"، وأما الثانية فتتمثل في معيار القصد من جهة، وفيما مرت به النسبة الخارجية من تحويلات متنوعة ومتدرجة ابتداء من "إيجاد النسبة الخارجية" مروراً إلى تنوع وتعدد النسب الخارجية، وصولاً إلى معيار "تبعية النسبة الخارجية للنسبة الكلامية" أو العكس، ليخلص في نهاية المطاف إلى تعدد وجهات النظر من خلال تعدد المعايير السابقة التي كانت إيجابية في مجملها حققت عمقا معرفيا سابقا لعصره في البحث التداولي العربي، مستنتجا تعريفا لكل من الخبر والإنشاء في كون الأول هو "الخطاب التواصلية المكتمل إفاديا والذي يريد المتكلم من نسبته الكلامية أن تطابق نسبته الخارجية" (صحراوي، المنحى الوظيفي في التراث اللغوي العربي، 2003) في حين يقصد بالإنشاء "الخطاب التواصلية المكتمل إفاديا والذي يريد المتكلم من نسبته الكلامية أن تُوجد نسبته الخارجية" (صحراوي، المنحى الوظيفي في التراث اللغوي العربي، 2003).

— عند الأصوليين

يعتبر صحراوي أن إن إسهام الأصوليين في نظرية الأفعال الكلامية في صيغتها التراثية رائد وعميق، فهم تناولوها بإحكام منهجي ودقة في المضمون وغزارة في الإجراء فهم قد اهتموا إلى الكثير من الحلول الموفقة والأفكار الناضجة لبعض المسائل النحوية التي فاتت النحاة، وفيما يتعلق بمجال نظرية الخبر والإنشاء ما يقابل نظرية الأفعال الكلامية فقد كان تناولهم لها تناولاً ذا منحى تداولي في أساسه؛ إذ استثمروا المقولات والمفاهيم التداولية المنبثقة عن الخبر والإنشاء لضبط وتحديد المعنى، والطرق التي يتخذها النص لإفادة معنى أو لصناعة أفعال دينية- فردية كانت أو اجتماعية- بالكلمات وكيفية تعاطيهم بالأساليب اللغوية والأغراض البلاغية التواصلية المنبثقة

الأسلوب ومقاصده، وبطرق وأحوال الاستعمال اللغوي وبطبيعة العلاقة بين المتكلمين والمخاطبين وبملايسات الخطاب ودلالاته وأغراضه" (صحراوي، المنحى الوظيفي في التراث اللغوي العربي، 2003).

على أن هذا الربط التداولي بين البنية النحوية وبين أغراضها التواصلية لم يكن الصبغة الغالبة عند جميع النحاة وهنا يؤكد صحراوي على ثلاث نحا خاصة وهم سيويه ولاسيما الجرجاني والاستراباضي الذين حرصوا على الاهتمام الكبير بالمعاني والأغراض المتوخاة من الخطاب وإصرارها على أن البنى التركيبية تابعة للوظيفة الإبلاغية وليس العكس (صحراوي، المنحى الوظيفي في التراث اللغوي العربي، 2003).

وأهم ما يمكن التنويه به في هذا الصدد أن صاحب التداولية عند العلماء العرب قد أعاد قراءة التراث النحوي العربي بمنظار المبادئ التداولية المعاصرة متوصلا إلى أن النحو العربي لم يكن نحوا شكليا كاله وصفه بعض اللسانين العرب في بداية الاتصال اللساني مع الغرب ولاسيما البنيوية وبعض تياراتها الوظيفية، وإنما كان يتضمن منحى وظيفيا عميقا كما يتجلى عند سيويه ولاسيما عند الجرجاني والاستراباضي من خلال التركيز على الربط الوثيق بين البنية اللغوية ووظائفها الإبلاغية وأغراضها التواصلية، وجعل مبادئ أمن اللبس والإفادة والقصد والغرض أهم المعايير في فهم المعنى وتحليل الخطاب، وبهذا نظر صحراوي إلى النحو العربي نظرة موضوعية تؤطرها الخلفية التداولية المعاصرة مع تأكيد المستمر على أهمية الوعي باستقلالية التراث عن اللسانيات المعاصرة لأن كل منهما يمثل لحظة تاريخية وحضارية مختلفة.

ومن أجل الملمة أهم ما تمخضت عنه دراسة الدكتور صحراوي عند النحاة في ضوء المقاربة التداولية فإننا نجملها في ثلاث نقاط أساسية:

- على مستوى أسس التحليل ومناهجه:

نقصد أسس التحليل ومناهجه تلك المبادئ الكبرى التي تحكم تصور النحاة في دراسة الكلام العربي، وتلك الخلفية المنهجية التي تؤطر تحليلهم للمسائل النحوية المدروسة، وما

يستشف من تقارير الدكتور صحراوي في هذا الصدد أنهم "لم يكونوا بعيدين عن دراسة المعاني في تحليلهم للجمل، بل إن منهم من كان على صلة وثيقة بـ "معاني الكلام" وبأغراض الأسلوب ومقاصده، وبطرق وأحوال الاستعمال اللغوي وبطبيعة العلاقة بين المتكلمين والمخاطبين وبملايسات الخطاب ودلالاته وأغراضه" (صحراوي، المنحى الوظيفي في التراث اللغوي العربي، 2003).

فالنحاة في جملتهم كانوا على وعي بضرورة وأهمية المعنى قبل المبنى وأن المبنى في خدمة المعنى وليس العكس، ولذلك نبهوا إلى أهمية أغراض الكلام ومقاصده في تحليلاتهم النحوية، ويؤكد في ذات الصدد- في سياق الرد على بعض المعاصرين ممن يهيمن عليهم التوجه البنيوي الصارم (الجملة في كتاب سيويه، 1993) - بأن "نحوهم لم يكن كله نحوا شكليا خالصا" مضيفا أن "عبقريتهم نحوهم لم تكن في أنه يفصل فصلا صارما بين الشكل البنيوي للجملة وبين مقامات وأحوال استعمال الجملة كخطاب تواصل" (صحراوي، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، 2005).

وما يظنه عبدالرحمان الحاج صالح مظهرها من مظاهر العبقرية في الفصل بين المبنى والغرض التواصلية وفق خلفيته البنيوية يعده صحراوي من مظاهر ضعف النحو لأنه يقتصر على الشكل بعيدا عن الوظيفة التواصلية المرجوة من كل تواصل، ويؤكد خلافا لذلك أن من مظاهر العبقرية عند كثير من النحاة هو أنهم لم يفهموا من اللغة أنها منظومة من القواعد المجردة فحسب، وإنما فهموا منها أنها لفظ معين يؤديه متكلم معين في مقام معين لأداء غرض تواصلية إبلاغي معين" (صحراوي، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، 2005)، ويستشهد لذلك بأقوال بعض النحاة في تعريف النحو وشروط التحليل النحوي من أهمها القاعدة النحوية الشهيرة: "الإعراب فرع المعنى" ويقول ابن هشام "متى بني على ظاهر اللفظ ولم ينظر في موجب المعنى وترك المعنى حصل الفساد"⁵. ليخلص إلا أن النحاة كانت تؤطر تحليلهم الأغراض والمقاصد وليس البنية النحوية وحدها ولذلك درسوا

المبدئية التي يصدر بها النحاة تحليل القواعد النحوية قبل تفصيل أنواعها وفروعها وقضاياها ومتعلقاتها.. وهنا يتجلى توظيف واستثمار المبادئ السابقة في دراسة وتحليل القضايا النحوية المختلفة ففي تعريف الجملة، فمثلا يشترط النحاة حصول الفائدة أو "الإفادة المستقلة" (حسن) بعبارة عباس حسن، وقد جاء ذلك صريحا في عبارة ابن اجني "كل لفظ استقل بنفسه، وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام" (حسن) ومثلها كثير في عبارات النحاة، وكما يتجلى توظيف مبدأ "الإفادة" في بعض التحديدات العامة للجملة بوصفها منطلق التحليل النحوي، يتجلى هذا المبدأ أيضا في تفاصيل القواعد الفرعية كمسوغات الابتداء بالنكرة وكظواهر التعريف والتنكير وبعض قضايا الجمل الشرطية وصلة الموصول وغيرها....

- على مستوى الظواهر النحوية:

مما يؤكد رسوخ المبادئ الوظيفية التداولية لدى نحاة العربية لا سيما المؤسسين منهم- بحسب ما يراه صحراوي- استثمارهم وتطبيقاتهم الوافرة للمبادئ التداوليين السابقين في الظواهر النحوية المختلفة كظواهر الإسناد وظواهر التخصيص والإثبات والنفي وأساليب التقديم والتأخير والتوكيد والتعيين.... وقد تتبع بعض الأمثلة التي وظفوا فيها هذه المبادئ التداولية سواء كان ذلك على مستوى التقعيد النحوي كاشتراط التنكير في الخبر واشتراط التعريف المبتدأ ولا يكون نكرة إلا بمسوغات تداولية في مجملها...أو كان على مستوى التخريج النحوي لتمييز الأبواب النحوية المتشابهة أو المتداخلة كأبواب التخصيص التي نصوا أنها تفيد التقييد والتعريف والإيضاح وهي مبادئ تداولية تندرج تحت مفهوم التقريريات عند سيرل وكالتمييز بين المبتدأ والخبر في بعض الأمثلة الشائكة كقول أبي تمام:

لعاب الأفاعي القاتلات لعبه وأري جني اشتارته أيد
عواسل
وكقول الآخر:

بنونا بنوا أبناءنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأبعاد

اللغة دراسة وظيفية -تداولية (صحراوي، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، 2005).
ويدلل صحراوي على المنحى الوظيفي- التداولي لدى النحاة من خلال المبادئ والأسس التي راعوها في تحليلاتهم النحوية وأهمها "مبدأ الإفادة" و"مبدأ الغرض" أو القصد؛ وهما مبدأان تداوليان من صميم البحث التداولي المعاصر، بل من أهم المبادئ التداولية التي كانت تؤطر تحليلاتهم لظواهر الخبر والإنشاء، إذ إن "مبدأ الغرض" متعلق بالمتكلم، ومبدأ الإفادة متعلق بالمخاطب؛ إذ يخص الفائدة التي يجنيها السامع من الكلام.. (صحراوي، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، 2005).

بل إن صحراوي يذهب أكثر من ذلك حينما يقرر أن النحاة كانوا مساهمين في تأسيس بعض مقولات ومفاهيم علم المعاني وتطبيقها في تحليلاتهم ولم يفرد بها البلاغيون، ومن أهمها تقسيمهم للجملة إلى خبرية وإنشائية؛ إذ نقلوه من تقسيم للكلام إلى تقسيم للجملة (صحراوي، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، 2005)، ويمثل لذلك باشتراط النحاة في بعض الجمل أن تكون خبرية في بعضها الآخر أن تكون إنشائية (صحراوي، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، 2005) وما ذلك إلا للأغراض والمعاني التي تؤديها كل نوع من الجمل دون الأخرى.

ولا ينسى الباحث أن يستدرك ويتعد عن التعميم المفرط فيشير في الوقت نفسه إلى الجهة المقابلة لهذا الصنيع الوظيفي وهو الاتجاه الشكلي عند جل النحاة الآخرين من خلال تركيزهم على أواخر الكلمات في الجملة ومطاردة حركاتها الإعرابية بسبب اهتمامهم الشديد بنظرية العامل ناعنا نحوهم بأنه "غير وظيفي" (صحراوي، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، 2005).

-على مستوى الأطر العامة والتحديدات الكلية:

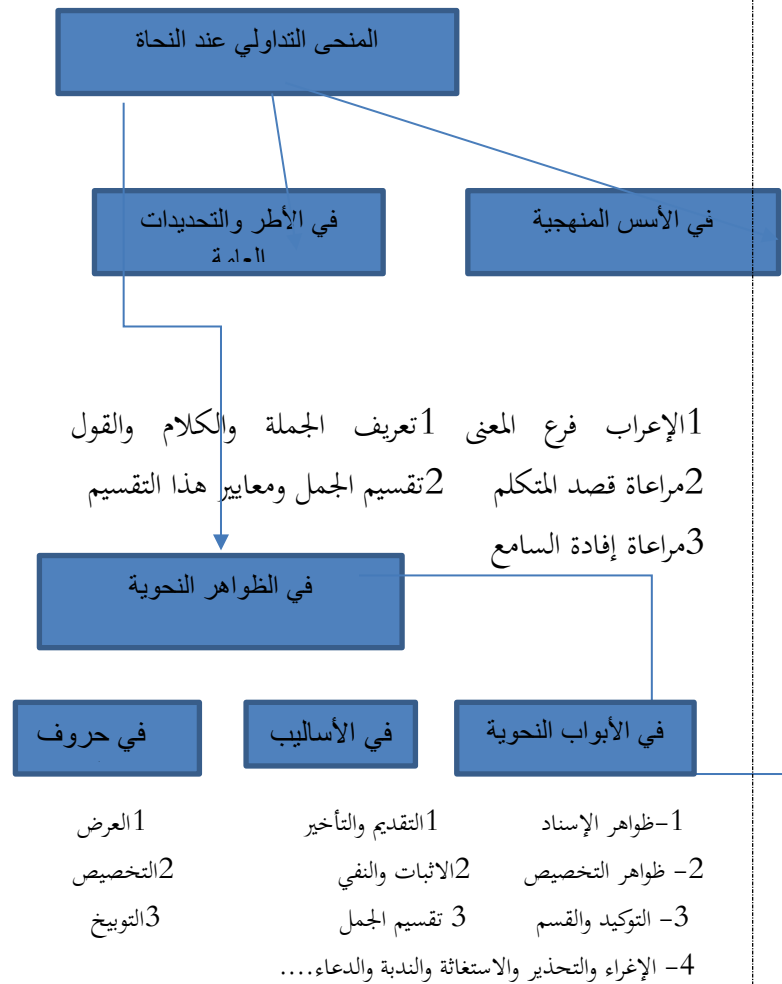
تتجلى الأطر العامة والتحديدات الكلية في أصول الكلام كتعريف الجملة والكلام والقول.... وبعض التعاريف

في كل بحث جادّ لأنها هي مفاتيح العلوم كما يقال... إلا أن هذه القضية جاءت متأخرة عند صحراوي، ويعلل ذلك بأنه الأهم بالنسبة "للطلبة القارئ بالعربية الذين لا يحسنون اللغة الأجنبية ليسوا بحاجة إلى كتاب ييسر مفاهيم غريبة جديدة، ويعرفهم بها بقدر ما هم بحاجة إلى استثمار تلك المفاهيم في قراءة التراث العربي وإبراز قيمته العلمية برصد المعالم الكبرى عند العلماء العرب في الفروع العلمية المختلفة لاسيما في البلاغة والنحو وأصول الفقه" (لحظة ميلاد التداولية، 2022)؛ فقد كان بحثه الأول لدواعٍ أكاديمية تستدعي التأصيل والتطبيق أكثر مما تستدعي التدقيق المصطلحي الذي يتجاوز بحثاً معداً لأطروحة في الدكتوراه.. بما يتطلبه هذا التدقيق من خبرة علمية وطول نفس وقرس في البحث العلمي وتضلع في اللغات المنقولة منها أو إليها تلك المصطلحات، لاسيما إذا وعينا تماماً الوعي ما تعانیه أزمة المصطلح في ثقافتنا العربية؛ إذ أصبحت تشكل تحدياً معرفياً كبيراً ثم تطورت مع الأيام إلى أزمة حادة تعاني منها الثقافة العربية في بعدها الحضاري ككل فضلاً عن البعد اللغوي. وهو ما عبر عنه بقوله "... ثم تبينت لنا حاجة أولئك الطلبة لمثل ذلك العمل التعريفي المؤسس بعد اطلاعنا على ما أنجز من دراسات عربية عديدة في التداولية.... فهناك مصطلحات أجنبية كثيرة لم يوفق الكثير من الدارسين العرب، حتى اليوم، في ترجمة بعضها أو ترجمة الكثير منها، كما ذكرنا آنفاً في إيجاد المقابلات الترجمة العربية الصحيحة المناسبة" (لحظة ميلاد التداولية، 2022). و يظهر أن سبب الاهتمام بالجانب التأصيلي على الجانب الترجمي كان سببه أهمية الاستثمار في قراءة التراث قراءة في ضوء مقولات التداولية وإبراز قيمته وصد معالم تداوليته، أما البعد الترجمي المصطلحي فلم يكن في البداية بتلك الحدة في الاختلاف والتشردم نظراً لجدّة المقاربة التداولية ومفاهيمها في حينه. وبهذا يأتي الحديث عن التدقيق الترجمي في سياقه المنطقي الطبيعي الملائم وفي لحظته التاريخية المناسبة حسب ما يفهم من كلامه.

هذا وعلى على الرغم من أن الأزمة الاصطلاحية تعاني منها الثقافة العربية عموماً وليس الجانب اللغوي اللساني فحسب

وكقولهم: عتابك السيف وغيرها من الأمثلة التي استثمروا فيها المبدأ الثاني من المبادئ التداولية السالفة وهو مبدأ الغرض أو قصد المتكلم، وأن الفصيل في تمييز المبتدأ من الخب، وغيرها من الأبواب النحوية المتداخلة أو المتشابهة في ذلك وتحديدتها هو قصد المتكلم (حسن) وسياق الكلام ومقام الخطاب.

وحسبنا هذه الإشارات الخاطفات ما دمنا أحلنا إلى أغلبها في مظانها من كتاب التداولية، وفيما يلي مخطط يلخص بعض من معالم المنحى التداولي عند النحاة مستخلصة من الفصل الخامس الذي عقده الأستاذ صحراوي للمنحى التداولي عند النحاة:



2.3 على مستوى التدقيق الترجمي:

لم تقتصر مساهمة الدكتور صحراوي على التنظير الغربي والتأصيل والتطبيق التراثي للظواهر والمبادئ التداولية، وإنما امتدت إلى ما يمكن تسميته بالتدقيق الترجمي، وعلى الرغم من أن ترجمة المصطلحات مكانها أولاً في التنظير والتأصيل والتطبيق

- في نقد المقترح العربي في المصطلح التداولي عند صحراوي
يقرر صحراوي في عبارة مركزة في واجهة مدخل كتابه
"لحظة ميلاد التداولية" الذي جعله بعنوان: سوء الترجمة عائق
في التحصيل المعرفي يقرر بعبارة تصور مدى الأزمة المصطلحية
وما يترشح عنها من تشردم واختلاف في وجهات النظر في
الساحة العربية في ترجمة المصطلح عامة والمصطلح التداولي على
وجه الخصوص بقوله: "مشكلة الدراسات اللسانية - مؤلفة
ومترجمة - مشكلة مصطلحات" (لحظة ميلاد التداولية،
2022).

هذا، ويلخص أهم المشكلات التي تعترض سبيل فهم
واستيعاب وكذا استثمار مفاهيم المقاربة التداولية في الساحة
العربية على المستوى المصطلحي في عدة عناصر أهمها كثرة
المصطلحات للمفهوم الواحد، والتعدد إزاء المصطلح الغربي
الواحد، واعتماد المصطلح قبل استيعاب المفهوم وغيرها⁶.
-أسس وضع المصطلح:

يلخص الدكتور صحراوي أهم أسس وضع المصطلح
في العناصر التالية:

- ضرورة تحديد المفهوم تحديدا دقيقا قبل وضع المصطلح
- أن يكون المصطلح بأقل ما يمكن من الكلمات نشدانا
للاختصار والإبانة
- اختيار أقرب كلمة وأنسب صيغة صرفية لاحتواء المضمون
والتعبير عنه

- الإفادة من السوابق واللواحق والأحشاء عند صوغ المصطلح
(لحظة ميلاد التداولية، 2022). وفي ضوء هذه الأسس والمعايير
والنظر في ضوئها إلى الترجمة العربية للمصطلحات التداولية
نجدها تكاد تكون غائبة جزئيا أو بالجملة في النماذج
المصطلحية (لحظة ميلاد التداولية، 2022)

ومنذ أمد ليس بالقريب بالإضافة إلى ما ذكره من أسباب
وجبهة في تقديم الاهتمام بالبعد التأصيلي الاستثماري على
حساب البعد الترجمي التدقيقي إلا أنّ ذلك لم يمنع الباحث
أن يشعر بهذه الأزمة منذ البداية لأنها اعترضت طريقه في انجاز
بحثه فأشار إليها إشارة عابرة (لحظة ميلاد التداولية، 2022)
ولكنها لافتة للنظر، ومع مرور السنوات ومع الخبرة العلمية
والمنهجية التي اكتسبها الدكتور سواء على مستوى التعليم
الجامعي أو على مستوى النقاشات العلمية وما أشرف عليه
وناقشه من رسائل ماجستير ودكتوراه - وكثير منها ذو علاقة
بالتداولية من قريب أو بعيد - أو ما اطلع عليه مما استجد من
البحث اللساني العربي في المجال التداولي من بحوث ودراسات
مؤلفة أو مترجمة... وما تتضمنه هذه الدراسات والبحوث من
اختلافات كثيرة في المصطلحات المتعلقة بالتداولية عامة ونظرية
الأفعال الكلامية خاصة كل أولئك مما جعل قضية المصطلح
التداولي تتبلور أكثر فأكثر في ذهن الأستاذ صحراوي وتصبح
أزمة معرفية وقلقا فكريا يستدعي أقلما يستدعي مزيدا من
البحوث والاقتراحات المشفوعة بالحجج المقنعة للتقليل من أزمة
الاختلاف في المصطلح التداولي في الساحة العربية.

من أجل ذلك أهتم الدكتور صحراوي بالمصطلح التداولي فأنجز
بحثا وشارك به في ملتقى دولي حول المصطلح في السياق العربي
أقيم في دولة عمان ونشر في مجلة علمية رصينة ثم ضمّته في
كتابه الأخير "لحظة ميلاد التداولية" (لحظة ميلاد التداولية،
2022).

وتتمثل دراسته في نقد كثير من المصطلحات المتعلقة باللسانيات
التداولية عامة ولاسيما نظرية الأفعال الكلامية المنقولة من
الإنجليزية أو الفرنسية إلى العربية والتي أصابها شيء غير قليل من
التعثر الترجمي أثناء نقلها من هاتين اللغتين وإلى العربية نتيجة
أسباب مختلفة شرحها ووضحها وبينها بالتدليل والتمثيل في بحثه
هذا (لحظة ميلاد التداولية، 2022).

الجدول 1: نماذج من المقترحات العربية في المصطلح التداولي وأسباب تعثرها (لحظة ميلاد التداولية، 2022)

المصطلح في لغته الأصلية	المصطلح المناسب	المصطلح غير المناسب	السبب
Pragmatic/pragmatique	التداولية	-الميدانية -الفعليات/ الفعلياتية -علم التخاطب -الذريعات -المذهب الذريعي	- -انعدام الصلة بين السياق والمضمون المنقولة منه وإليه أو غموضها
Speech /Act de parole act	الفعل الكلامي/الفعل اللغوي	العمل النطقي الأفعال التحقيقية	
Locutionary act/act illocutoire	فعل القول	فعل كلامي -	-التعبير بالكل عن الجزء
illocutionary act/act illocutoire	الفعل المتضمن في القول/فعل إنجاري	-فعل تكلمي -العمل اللاقولي	-عدم مناسبة المصطلح للمفهوم -الاعتماد على صيغة المصطلح الأصلي دون المضمون
perlocutionary act/act perlocutoire	فعل تكلمي/ فعل أثر غير مباشر		- -ترجمة الكلمة الواحدة بعبارة كاملة
Le but illocutoire	الغرض الإنجاري	الغرض اللاقولي	-الاعتماد على صيغة المصطلح الأصلي دون المضمون
Force illocutoire	القوة الإنجارية	القوة اللاقولية	
performatifs	مقول تحقيقي	تقريريات	ترجمة كلمة واحدة بعبارة
Assertifs	مقول تقريري	تقريريات/ أفعال تقريرية	
utterance	القول	ملفوظ	عدم دقة وصيغة المصطلح
Implication/implicature	التلويح/التضمين/	الاستلزام التخاطبي	عدم دقة وملاءمة المقابل العربي لأنه يستعمل في حقل معرفي خاص
Pertinence/relevance	الصلة/الورود/المناسبة	الملاءمة	عدم دقة المقابل العربي
Act de langage	فعل اللسان	فعل الكلام	جعل الكلام مرادفا للسان وهما

اكتساب اللغة	اكتساب الكلام	متغيران بل متقابلان كما هو شائع
Vrai ou faux	الصواب والخطأ	ملاءمة المصطلح للمضمون والسياق المعرفي
Philosophie du langage ordinaire	فلسفة اللسان العادي	عدم الملائمة إذ المقصود فلسفة استعمال الإنجاز اللساني المتمثل في اللغة
Argument/argumentation	دليل أو برهان	عدم التفريق في الاصطلاح بين الحقول أو المجالات المعرفية المتقاربة أو المتقاطعة

وفي خاتمة نقده لأهم المقابلات غير المناسبة التي وضعت مقابلا عربيا للمصطلح التداولي فقد لخص أهم العيوب التي ارتكبتها أولئك الباحثون في ترجمة المصطلحات وأهمها: عدم استيعاب المفاهيم مما يوقع في الخلط في المضمون ووضع المصطلح قبل تحديد المفهوم واعتماد البنية السطحية دون البنية العميقة للمصطلح ومنها ترجمة المفهوم الكلي بمفهوم جزئي، وكذا المبالغة في التأصيل وطلب المكافئات الترجمية من التراث رغم اختلاف المفاهيم والانساق (لحظة ميلاد التداولية، 2022).

أهم اقتراحات الدكتور صحراوي:

1- مقترحات منهجية ابيستمولوجية

- وجوب الربط المعرفي " بين مفاهيم خبرتنا اللغوية القديمة (التراث) ومفاهيم النظريات الغربية، لكنه مسألة عميقة شائكة تقتضي الإلمام بأنساق معرفية كثيرة بعضها معقد، ولا يُطبقها إلا ذو حظ كبير من إعداد العدة واجتماع الأدوات المعرفية المكافئة وإتقان عدّة لغات والصبر الجميل.

- لاضرر في التقاء الفكر العربي القديم مع الفكر الغربي المعاصر على أرضيومانهجية مشتركة أو متشابهة، مع وجوب إبداء التحفظ الذي يفرضه استصحابنا للوعي باستقلالية التراث العربي الإسلامي فلا ننسى أن له خصائص ابيستمولوجية تجعل منه منظومة مستقلة ومتميزة ومتكاملة.⁷

- الإيمان باستقلالية التراث اللغوي العربي

2- مقترحات في بعض المضامين المعرفية

- إضافة صنف آخر لثلاثية الفعل الكلامي وهو قسم الفعل المستدعى بالقول ممثلا في الأمر والنهي في العربية

- إعادة النظر في اتجاهات المطابقة لدى سيرل في القسم الخاص بالإيقاعات

- إضافة صنف آخر من الأفعال الكلامية وهو صنف الاستفهاميات

- اعتماد أداة لتأطير الجهد الذي بذله سيرل.

4. خاتمة:

(لحظة ميلاد التداولية)، ولعل ما احتواه من دقة مباحثه

وإشراقة أسلوبه ومن بديع عرضه وعمق طرحه على الرغم من أنه أطروحة دكتوراه أعدت في سياق لم تنتشر فيه المقاربة التداولية في الساحة العربية إلا لماما، ورغم ذلك فقد تضمن

لعل خير ما نختم به هذا البحث الذي طوفنا به في بعض جهود أحد أهم الباحثين العرب في اللسانيات التداولية المعاصرة المتمثلة في جهود مسعود صحراوي ويمثل كتاب التداولية زبدتها

فالكاتب بما أنه موجه إلى الباحثين العرب من الأساتذة وطلبة الجامعات والمهتمين بالشأن اللساني بصفة عامة قد جاءت مباحثه تطبيقية مبسطة على عمقها مركزة على سعتها؛ إذ ركزت على نداوة التطبيق بعيدا عن جفاف التنظير. وهو كتاب على الرغم من قلة فصوله⁸ وقلة عدد صفحاته⁹ إلا أنه طاف بالكثير من المباحث النحوية والبلاغية والأصولية فضلا على التنظير الغربي للفكر التداولي وظروف نشأة تأسيسه؛ فجاء على صغره النسبي دقيق العرض التنظيري والتأصيلي غزير التمثيل رشيق الأسلوب ينجدل في تضاعيف نسيجه الطريف والتالد ويمتزج في مباحثه الأصيل والوافد.

5. قائمة المراجع: طريقة (APA)

- لحظة ميلاد التداولية، دار أزمنة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2022.

- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

- مسعود صحراوي، المنحي الوظيفي في التراث اللغوي العربي، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية المجلد 5، العدد 1، المحم - ربيع الأول 1424/ابريل - يوليو 2003.

المقالات: - مقال الجملة في كتاب سيبويه، مجلة المبرز المدرسة العليا للآداب والعلوم الإنسانية بوزريعة الجزائر، العدد 2، جويلية - ديسمبر، 1993

الكثير من المسائل الدقيقة والتفريقات المهمة والنظرات الثابتة والنضج المعرفي النقدي الذي طرحه في الكثير من المباحث، وهو عمق معرفي يتجاوز- بحق فيما نقدر- مرحلة التدرج الجامعي ويرتقي بالكتاب إلى مستوى الدراسات الرصينة المؤسسة نظريا ومنهجيا وإجرائيا على مستوى الثقافة العربية لاسيما في قضية الربط المعرفي بين الفكر الغربي المعاصر والتراث اللغوي العربي.

ولا أبالغ إذا قلت بأن بعض مباحثه لا تزال تفوق الكثير مما يطرح في الساحة الأكاديمية من دراسات تتعلق بالبحث التداولي على المستوى النحوي والبلاغي ممن توضع تحت مظلة الأطروحات وليس لأصحابها في البحث العلمي المعمق من خلاق، والنظرة الإجمالية للكتاب تدل بلا شك أنه حيز لصاحبه نصيب وافر من رسوخ القدم في النظريات اللسانية ولاسيما في نسختها التداولية من جهة، والتراث اللغوي العربي من نحو وبلاغة وأصول فقه على السواء، فلقد استثمر بوعي منهجي وعمق إبيستيمولوجي ما استجد من المقاربة التداولية وما أتاحته من مفاهيم ومبادئ وإجراءات ومن إبداع ثوري في فهم الظاهرة اللغوية، يستوقد بهذه المقاربات الجديدة جذوة النحو والبلاغة وأصول الفقه من أعماقهما ليأتي كتابه ثمرًا يانعا يستروح فيه القارئ بديع التحقيق وعميق التأصيل ورفيع التدقيق ورشاقة العرض ومثانة الطرح وبراعة البحث العلمي المتبصر، كما يستروح فيه بعد هذا وذاك نفحات النقد الموضوعي المؤصل تجري بقلم المؤلف رخاءً حيث أصاب.

¹- السابق، ص 14

²- نفس المرجع، ص 17

³- يستثني الباحث هنا من مباحث الظاهرية لدى هوسرل ما جاءت به من مفهوم إجرائي هام جدا في اللسانيات التداولية وهو مفهوم "القصدية" (intentionnalité)، وهو المبدأ الذي استثمره أوستين في دراسة ظاهرة الأفعال الكلامية، واستثمره سيرل أكثر حينما اتخذ معيارا لتصنيف القوى المتضمنة في القول (القوى الإنجازية): ينظر السابق، ص 23.

⁴- ينظر تدوينه في صفحته على الفيسبوك بتاريخ 30 نوفمبر 2019

⁵- نفس المرجع، نفس الصفحة

⁶ - نفس المرجع، ص 19

⁷ - المنعي الوظيفي في التراث اللغوي العربي، ص 44

⁸ - الكتاب يضم خمسة فصول فقط.

⁹ - يقع الكتاب في حوالي 240 صفحة فقط، وهو حجم صغير إذا قيس بالكتب المهمة بالتنظير والتأصيل والتمثيل معا.